الوصية الأعظم

(مر ١٢:٢٨-٤٤)

تأليف: جو شوبيرت

في كل مجالات الحياة يبدو ان هناك صراع لا ينتهي من أجل احتلال مكان الصدارة. في عالم الأعمال والرياضة، هناك منافسة. هناك رغبة غير مستقرة من جانب الإنسان لتحديد الأقصى في كل شيء. نريد أن نعرف أطول بناية و من هو أكثر عمراً وما هي أسرع سيارة، وطبعاً ما هو البلد الأكثر اتساعاً.

١. السؤال المطروح
(مرقس ١٢:٢٨-٣١)

ليس من العجب إذاً، ليس هناك ما يروي ظمأ الإنسان، لذلك جاء معلم الشريعة وأحد الكتبة في احد الأيام إلى يسوع وسألاه: «من بين مئات الوصايا في العهد القديم، نريد أن نعلم ماهي الوصية الأولى والأعظم من الكل. ومن خلال كل الوصايا حدد لنا وبدقة الوصية التي قد ندرك انها الأكثر أهمية.»

إستجابة يسوع على السؤال هي واحدة من أعظم نصوص الكتاب المقدس بالكامل. قال يسوع في إنجيل مرقس ١٢:٢٩ ما يلي:

> اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد.
> وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك
> ومن كل فكرك ومن كل قدرتك.

لهذه الأولوية. هذه الوصية التي يعتبرها الله الإرشاد والوصية الأكثر أهمية التي أعطاها لشعبه على الأطلاق. فلننظر بحرص إلى هذا النص الهام لنرى كيف انه فعلا جوهريا.

بدأ يسوع القول: «تحب الرب إلهك من كل قلبك.» القلب ذلك الجزء الذي يشعر فينا وذلك الجزء الذي فيه تكمن العواطف. أن الشعور الغامر والدافئ الذي نشعر به تجاه أزواجنا أو زوجاتنا وأطفالنا يأتي كله من القلب. أن حبنا لأبينا السماوي لا بد أن ينمو إلى النقطة التي فيها يلمس قلوبنا وشعورنا وعواطفنا. حُبنا لله لا يمكن أن يكون كاملا أبداً وكما ينبغي حتى يؤثر على قلوبنا. حقاً بان المسيحية ديانة يحس فيها القلب.

قال أيضاً: «تحب الرب إلهك من كل نفسك.» الكلمة «نفس» ترجمت بمعاني مختلفة وفي نصوص مختلفة في الترجمة العربية. الكلمة اليونانية هي (پسوخي). هذه الكلمة ترجمت إلى «حياة» في نصوص أخرى في العهد الجديد. على سبيل المثال، يقول إنجيل متى ٦:٢٥ «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون.» مثالاً آخر في إنجيل يوحنا ١٥:١٣ حيث قال يسوع: «ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه.» مثل آخر هو إنجيل متى ٢٠:٢٨ حيث يقول: «كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدَم بل ليَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين.»

التشديد في هذا النص وفي النصوص الأخرى التي قد نأتي بها هو أن هذه الكلمة «نفس» تعني عادة الحياة نفسها التي يحياها الإنسان – نسمة الحياة. ما يقوله يسوع في الجزء الثاني هذا لأعظم الوصايا هو ان حبنا لله ينبغي أن يكون نوع الحب الذي يحثنا لنخدمه بكامل حياتنا، إلى حد ان نعطيه هذه

الحياة إذا ما شاء الأمر. شهداء المسيحية في القرن الأول، هم طبعاً المثل العليا للذين يحبون الله من كل نفوسهم إلى مثل هذا الحد حتى أعطوا حياتهم الجسدية من أجل الإيمان الذي اعترفوا به.

الجزء الثالث لهذه الوصية هو أن نحب الرب إلهنا بكل فكرنا. نحن نعلم ما هو الفكر. الفكر {أي العقل} هو مكمن الذكاء، الجزء الذي به نفكر. انه بالعقل تعد فاتورة الحساب. وبالعقل تخترع الأجهزة وتقوم بالاكتشافات. عقول أطفالنا يتم تدريبها عندما نرسلهم إلى المدرسة.

يضع العهد الجديد عادة التشديد على أن نكرس عقولنا بالكامل للرب. نعلم بانه يجب علينا أن نتعلم مشيئة الله، والقيام بذلك يكون مبدئيا من عمل العقل. مراراً وتكراراً ينطق ببركات على الذين يكرسون عقولهم لدراسة كلمة الله. هل تذكر المسيحيين في بيرية؟ مدحهم لوقا في أعمال الرسل ١١:١٧ عندما قال: «وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا!» أولئك الناس كانوا قد كرسوا عقولهم وتفكيرهم لدراسة الأسفار المقدسة يومياً ليفحصوا حتى تبشير الرسول الموحى إليه. في رسالته إلى تيطس، وضع بولس الرسول قائمة تأهيل لشيوخ الكنيسة، احد الشروط هي أن يكون: «ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين.» هذا يفعله فقط الرجل الذي يستخدم عقله ليتعلم ما هو التعليم الصحيح، والذي يستخدم عقله ليواجه الذين يُعلّمون الضلال باسم الرب.

لا بد للمسيحي أنَ يقضي بعض الوقت كل يوم في قراءة كتابه المقدس. ينبغي على المسيحي في كل اسبوع أن ينتهز الفرصة ليحضر ارشادات دروس الكتاب المقدس التي يتم تقديمها. لا يمكن للمسيحي أن يكون مطيعاً حقاً ولا يأخذ بجدية إلتزامه ليكون تلميذا شخصيا لكلمة الله، بطرق شخصية أي بصورة منفردة أو مع المجموعة.

انها ليست صدفة عدم أهمال يسوع لهذه الوجه من الوصية القائل بان نحبه بكل فكرنا في الفراغ، بل جعلها على توازن مع أجزاء أخرى لتلك الوصية، يقترن حبنا له بالفكر مع حبنا له بقلوبنا ونفوسنا. عند فصل الفكر عن القلب والحياة تكون النتيجة غير مرضية ونكون تقييم معاكس للكتاب المقدس. لا يكفي ان نعرف الأسفار المقدسة فقط. ينبغي أن نملك أيضاً تقوى عميقة لله الذي يسميه يسوع حباً له بكل قلوبنا وحياتنا.

في هذه الوصية، قال يسوع أيضاً: «تحب الرب إلهك من كل قدرتك.» قدرة الإنسان هي مقدراته ومواهبه ومهاراته وطاقاته. المسيحية هي ديانة نشاط وعمل. من لا يرغب ان يستخدم قدراته ومواهبه في عمل ملكوت الله، لا يليق به ان يكون تلميذ يسوع المسيح. قال بولس الرسول في رومية ١:١٢ بان على المسيحي أن يستخدم حياته بكاملها كذبيحة لله يومياً. كان شعب الله في العهد القديم يقدمون الحيوانات كذبائح. في المسيحية، الذبائح التي نقدمها لله هي ذبائح حياة الناس التي نحياها له {إلى جانب الذبيحة العظمى التي قدمها المسيح نفسه}. أن هذا جزءا متمما للمسيحية الحقة. نظهر حقيقة اخلاصنا وتعهدنا لله من خلال العمل ليسوع في ملكوته ونحبه بقدرتنا.

اني أظن بانه لو كان علينا أن نخرج بعد ظهر اليوم ونمسك شخصا ما من عروة ثوبه ونسأله: «قل لي يا صديق، مارأيك بنوع أكثر الخطايا التي تجد الناس مذنبين بها اليوم؟» اني أظن بانه قد يفكر لحظة ثم يقول: «حسناً، القتل رهيب والكذب شنيع والسرقة ممقوتة والزنا خطية عظيمة.» انه يأتي بقائمة هذه الخطايا ونتفق معه ونقول: «نعم، هذه بالحقيقة خطايا عظيمة.» ولكن هل يكون القتل والكذب والزنا الخطايا الأعظم من الكل؟ إن كان حبي للرب إلهي من كل قلبي ومن كل فكري ومن كل نفسي ومن كل قدرتي هي الوصية الأعظم من الكل، إذن الخطية الأعظم من الكل لا بد أن تكون إخفاقي في حب الله من كل قلبي

ومن كل نفسي ومن كل قدرتي ومن كل فكري! الخطية الأعظم لا بد ان تكون انتهاك الوصية الأعظم! كل الخطايا الأخرى هي كالتي ذكرناها قبل قليل، تأتي على أثر إخفاق الشخص ليحب الله حباً عميقاً. قال يسوع: «إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي.» أن عبارته تتضمن أيضاً على إن كنا لا نحبه، لا نحفظ وصاياه.

هناك أناس رائعين والذين لا يفكرون أبداً ان يرتكبوا القتل المتعمد أو الزنا، ولكنهم يرتكبون الأخطاءالفادحة لانهم لا يحبون الله من كل قلوبهم ومن كل نفوسهم ومن كل قدرتهم ومن كل فكرهم. حب النفس الذي يملأ ويدفع الله خارج نقطة الإرتكاز في حياتنا، هي الخطية الأكثر أنتشارا من الجميع.

أقراءها مرة أخرى. أيّة وصية هي أول الكل؟

> فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد – وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك.

بعد هذا، أعطى يسوع ثاني أعظم الوصايا. عند أعطائه الوصية الثانية، ربط وصيتين معاً بطريقة لم يفعلها أبداً من قبل أي معلم يهودي أو أي معلم أخر. في الأية التالية، قال: «والثانية مثلها، هي أن تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين» (آية ٣١). وضع يسوع وصية ان نحب الله ووصية ان نحب قريبنا معاً وجعلهما وصية واحدة. كانت الديانة كما يراها يسوع هي حب الله والناس. في الواقع، اني واثق بانه ربما قد يقال بان الطريقة الوحيدة التي نثبت بها باننا نحب الله هي ان نبين باننا نحب قريبنا. فما من وصية أخرى أعظم من هاتين.

٢. الإنطباع الذي تركه (مر ١٢:٣٢-٣٤)

الحقيقة المتأصلة لهذه الكلمات التي نطق بها يسوع قبل الآن، اقتنع بها معلم الشريعة وتركت انطباعاً عميقاً في قلبه. تقول الآيتين ٣٢ و ٣٣ ما يلي:

> فقال له الكاتب: «جيداً، يا معلم! بالحق قلت. لأنه الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس، هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح.»

هذا الكاتب الذي لم يذكر أسمه بقى غير معروفا، رأى حقيقة كبرى. وهي ان النشاط الديني والممارسات الدينية الظاهرية لا تقيم بشيء في نظر الله إلا إذا كان طبع القلب صحيحاً. انه من السهل دائماً ان ترتبط العبادة بمبنى الكنيسة. هذا الكاتب استطاع بطريقة ما ان يعلو فوق معاصريه ويفهم شيئاً ما قد فات على الجميع تقريباً. انه فهم إلى حد ما ما كان يقوله يسوع. وجد نفسه في تعاطف معه.

لا بد أن نرى المحبة التي كانت في عيني يسوع عندما قال لهذا الكاتب: «لستَ بعيداً عن الله» (آية ٣٤). هذه الصفة محزنة لكثير من الناس. كانوا مقربين جداً من الملكوت ولكن لم يدخلوه بالفعل. إن كان لهذا الكاتب شجاعة ليعترف بيسوع كرب، فلا شك انه كان سيُطرد من المجمع. وكان سيفقد الوسيلة التي يكسب بها العيش. صمت الكتاب المقدس يشير إلى ان هذا الكاتب مع انه كان قريباً فانه لم يدخل ملكوت الله أبداً. بعد هذا الحدث يسجل مرقس بان لم يجرؤ أحدا بعد ذلك أن يوجه إليه مزيدا من الأسئلة.

٣. متابعة النقطة

استمر الرب يلقن هؤلاء الكتبة درساً مهماً؛ إذ يقول مرقس:

> ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل: «كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك! فداود نفسه يدعوه ربا، فمن أين هو ابنه؟» وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور (الآيات ٣٥-٣٧).

الاقتباس الذي ورد في الآية ٣٦ مأخوذ من المزمورالعاشربعد المئة. حيث كتب داود في ذلك المزمور قائلاً: «قال الرب لربي: اجلس عن

يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» أن سؤال يسوع هو بسيط. كيف يمكن للمسيا أن يكون ابن داود ورب داود كليهما في الوقت نفسه؟ كان يدرك السؤال عن هويته. طبعاً الإجابة على السؤال الذي سأله يسوع ذو علاقة مع طبيعة شخصيته المزدوجة. كابن الإنسان، كان يسوع ابن داود، ولكن كالله المتجسد، كان هو رب داود ورب كل الآخرين على وجه الأرض.

هوية يسوع هي المسألة الأساسية للحياة. يتوجه تاريخ البشرية كلها تجاه يوم حاسم عندما يجثو كل شخص على ركبته ويعترف بلسانه بان يسوع المسيح هو الرب.وألوهيته هي آساس كل الحياة. في هذا النص يقوم الرب بمحاولة جريئة ليخترق حاجز الإيمان الأعمى في أولئك القادة لليهود، وقال: «فكر مرة أخرى عن من هو المسيا. أنا ابن داود وأنا رب داود.»

٤. التوضيحات المستخدمة (مر ١٢:٣٨-٤٤)

اختتم مرقس هذا السجل بالإشارة إلى الطريقة التي يعلن بها ربانية يسوع نفسه في حياة البشر. التعبير الحق لطاعة القلب لربانية يسوع معلن من قبل يسوع نفسه عندما وضع مقارنة بين معلمي الشريعة الدينيين المغرورين والمتكبرين وأرملة متواضعة فقيرة تتقي الله. تقول الآيات من ٣٨ إلى ٤٠ ما يلي:

> وقال لهم في تعليمه: «تحرزوا من الكتبة الذين يرغبون المشي بالطيالسة والتحيات في الأسواق، والمجالس الأولى في المجامع والمتكآت الأولى في الولائم. الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم.»

كان معلموا الشريعة والكتبة يرتدون ثياب طويلة بيضاء وهم ذوي السلطة والقوة. كان الرجل العادي في الشارع يرتدي اللون البني أو أي لون آخر؛ كان الكتبة يرتدون جلباب طويل أبيض. وكان في العادة، كلما ذهب كاتب إلى السوق يحيه الناس بمثل هذه الألقاب: رباي {أي معلم} وأبونا وسيد. كان الكتبة يحبون هذه التحيات ويتقبلونها. وعندما كان الكاتب يحضر خدمة المجمع، كان يجلس في مجلس خاص. كان يجلس بحيث يكون وجهه متجها نحو جماعة المستمعين وظهره مقابل الخزانة التي كانت تحفظ فيها شريعة موسى. كان ذلك مجلسه الخاص وكان يحبه. كان هناك قانون بين اليهود يقول بانه قد لا يكون لمعلم الشريعة والكاتب مصدر دخل، ولكن مسموح له ان يقبل الهدايا والكرم والسكن مع الذين يفتحون له أبواب بيوتهم. قال يسوع بانهم انتهزوا فرصة هذه العطايا. قال: «يلتهمون بيوت الأرامل». كان الكتبة يصلون الصلوات الطويلة لأن دوافعهم هي أن يراهم الناس. الهدف الكلي لحياتهم ليس لتقديم الإجلال لله، بل لكي يراهم الناس. هؤلاء الكتبة مع انهم يعلنون بانهم شعب الله، كانوا محتالين ولا ريب في ذلك.

ولكن هناك بعض الناس الموثوق بهم في المشهد. يخبرنا مرقس بان يسوع، عندما كان جالسا مع التلاميذ في الهيكل، رأى اليهود يضعون تبرعاتهم في صندوق التبرعات. وكان من بين اليهود أرملة فقيرة. أشار يسوع إلى هذه الأرملة الفقيرة بصفة خاصة كمثال رائع لشخص جدير بالثقة وتقي. يقول مرقس:

> وجلس يسوع تجاه الخزانة، ونظر كيف يلقي الجمع نحاسا في الخزانة. وكان أغنياء كثيرون يلقون كثيرا. فجاءت أرملة فقيرة والقت فلسين قيمتهما ربع. فدعا تلاميذه وقال لهم: «الحق أقول لكم: إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة: لأن الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل ما عندها - كل معيشتها» (الآيات ٤١-٤٤).

كان المال الذي يلقى في تلك الخزائن في الهيكل يستخدم لأغراض دينية وأغراض عامة. كان اليهودي العامي يرى أن اعطاء تلك التبرعات فرض عليه. كان يريد أن يجذب الانتباه بأكثر ما يمكن، وجعل عمل معيشته مرئي بقدر المستطاع. يعلق وليم باركلي بان كانت هناك ثلاث عشر خزانة تبرعات على شكل بوق موضوعة على جدران الهيكل بالقرب من

رواق النساء. عندما جلس يسوع بالقرب من تلك الخزانات الثلاث عشرة مع تلاميذه، كان بامكانه ان يسمع رنين الدراهم عندما كان الأغنياء يصطفون لكي يلقوا فيها دراهمهم. لا شك انهم يحاولون ان يلقوها بطريقة معينة وبقوة معينة لتحدث جلبة كثيرة. لقد كانوا يلقون تلك الدراهم في الخزائن التي هي بشكل البوق لتحدث أكبر ضجة ممكنة، وكان كل شخص يلتفت ويقول: «ما أكبر التبرع الذي قد تبرع به هذا، اسمع رنين الدراهم!»

أرملة فقيرة جاءت لتتبرع. والقت بفلسين، وهي قيمة صغير جداً. عرف يسوع تبرعها، ولكن يبدو بان ما من شخص آخر عرفه. يبدو بان القادة الدينيين والأغنياء لم يدركوا. لم يقدروا عطائها كثيرا. لماذا يجب أن يفكروا مرة أخرى في هذا؟ ولكن قال يسوع ان تبرع تلك الأرملة الفقيرة كان حق، إذ يمثل محبة وتعهد. وفقاً لما قاله يسوع، ألقت المرأة كل ما عندها. السبب الذي جعلها تفعل ذلك سليم وبسيط: كان من أجل محبتها وتكريسها لله. لقد كانت شخصية موثوق بها في نظر الله. مهما نالها من مكافأة، فالله هو الذي يعطيها؛ لأنها بكل تأكيد لا تنال أيّة مكافأة أو ثناء من الناس الذين كانوا يتابعون. بل في الواقع، إن كانوا قد أدركوا على الإطلاق، لكانوا قد انتقدوا عطيتها. ولكانوا يقولون: «هذه الأرملة قد ألقت النقود الذي وجب عليها أن تحتفظ به لأسرتها. قد أعطت كل ما عندها. ربما يجب علينا أن نعتني بها.» لكانوا قد أدانوها.

لم يرى يسوع هذا الموضوع بتلك الكيفية. بل أشار إليها بصفة خاصة كمثال لشخص الجدير بالثقة التي احبت الله من كل قلبها ومن كل فكرها ومن كل نفسها ومن كل قدرتها.

الخلاصة

بدون محبة صادقة، لا تكون هناك مسيحية صادقة. قد نتحدث عن برامج كنيسة وخطط وأعمال، ولكن ما لم يكن الدافع للكل محبة صادقة لله وللإنسان، فاننا قد أخطأنا الهدف جداً.

هل تحب الله من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك؟ هل تحب قريبك كنفسك؟ هاتان الوصيتان هما أعظم وصايا الله.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧